مقياس: نشاط ومساهمة المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية

الدكتور عيسى حمري

المحاضرة الاولى

الهجرة الجزائرية الى فرنسا:

شهدت الهجرة الجزائرية الى فرنسا حركية كبيرة بسبب حاجة فرنسا الى اليد العاملة خاصة قبل أو بعد فترة الحرب العالمية الأولى بسبب الحرب ولتعويض الجنود الفرنسيين في جبهات القتال، خاصة أن أغلبهم تم توجيههم الى المصانع. اضافة الى السياسة القمعية التعسفية الفرنسية في الجزائر ولد الفقر والحرمان والبطالة وانتشار الامراض والاوبئة .

وصل الى فرنسا مابين 1900 – 1914 حوالى 10 الاف جزائري الجزء الكبير منهم مابين عامي 1912 – 1914، وبينما كان المهاجرون الجزائريون في فرنسا يقارنون حياتهم التعسة تحت قانون الأهالي بالحرية التي وجدوها في مرسيليا، وبا دي كالي ، وباريس ولم يشعروا كعمال أنهم كانوا يختلفون كثيراً عن زملائهم عمال فرنسا.

خرج التحقيق الذي أجري سنة 1912 حول الحركية العمالية الجزائرية إلى فرنسا في نهايته إلى الأهمية البالغة للحركة العمالية الجزائرية، أين توصل هذا التحقيق إلى وجود حوالي 4 ألاف إلى 5 ألاف جزائري يقيمون بفرنسا وبالخصوص في مارسيليا، باريس، بادوكاليه. وعرض هذا التقرير جانباً من حياة هؤلاء العمال الجزائريين الذين يشتغلون في حوض الفحم في بادو كاليه، وقدرت هذه اللجنة عددهم 400 جزائري يعملون في مناجم شركة كورييه.

عرفت حركة الهجرة الجزائرية إلى فرنسا نشاطاً كبيراً خلال فترة الحرب، وانقسم المهاجرين الجزائريين إلى عمال وجنود في وحدات الجيش الفرنسي، ويعود ذلك لعدة قرارات لتلبة حاجة الحرب للجنود في جبهات القتال او يد عاملة في المصانع، ومن الأمور التي عملت على زيادة عدد العمال الجزائريين في فرنسا تم تجنيد 17500 عامل جزائري.

انطلقت الدفعة الأولى إلى فرنسا في 15 سبتمبر 1912 وبلغ عددهم 2500 مهاجر، وكانت هذه العمليات تحت إدارة وزارة الحربية، أما الحاكم العام فهو مكلف بجمع العمال على مستوى المستعمرة. الموجة الكبرى الثانية من الهجرة الجزائرية إلى فرنسا في 1922 من منطقة القبائل، وارتفع عددهم إلى الضعف، من 48 ألف في عام 1921 إلى 105 ألف في 1929.

شارك الجزائريون في الحرب العالمية كعمال أو كجنود فكانت تجربة هامة لهذه الفئة أين احتك الجزائريون بغيرهم من العمال والجنود الذين جلبوا من مختلف المستعمرات الفرنسية، كما أخذوا فكرة عامة عن هشاشة الدولة الفرنسية والفارق الكبير الموجود بين الفرنسيين والكولون الموجودين في الجزائر، فبعد الحرب شهدت الحركة الوطنية الجزائرية التي قاد نضالها العمال الجزائريون في المهجر ثورة ونقلة نوعية رسخوا للعمل النضالي والفكر المطلبي الذي نقل الكفاح من شقه العسكري إلى النضال السياسي والعمالي الذي يعد الصفة الرئيسية والبارزة لهذه المرحلة .

جاء تطور حركية الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال فترة الحرب العالمية الأولى بسبب الحاجة الماسة لفرنسا لليد العاملة الجزائرية لتعويض الجنود الفرنسيين في جبهات القتال، وقد بلغ عدد العمال الجزائريين المسخرين الخدمة مصالح فرنسا الاستعمارية حوالي 78556 عامل، أما عدد المجندين الجزائريين في القوات الفرنسية فقد تجاوز 175 ألف جندي خاصة أن أغلبهم تم توجيههم الى المصانع.

كانت للحرب العالمية الأولى أثر كبير على الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا سواء كانوا عمالاً أو مجندين، فاكتشفوا عالماً آخر من خلال تعرفهم على الفرنسيين والاحتكاك بأبناء المستعمرات الأخرى ومعرفة ما هو القانون وما هي كرامة الإنسان التي هضمها المعمرون في الجزائر في ظل الاحتلال. بالنسبة للعامل الجزائريين فإن الواقع بالنسبة له أسوء بكثير وظروف العمل كانت جد صعبة فقد تم التمييز بينهم وبين العمال الفرنسيين في جميع النواحي، وهذا لمنع أي اتحاد للحركة العمالية في الجزائر، ودائما الخدمة أصحاب المصالح وأرباب العمل.

عرفت الهجرة الجزائرية إلى فرنسا ما بعد الحرب نوعاً من الاضطراب والتردد فلم تكن تسير على وتيرة واحدة كما كانت عليه أثناء الحرب العالمية الأولى، تراجعاً يستمر حتى عام 1920 والسبب في ذلك يعود إلى اللوبيات الضاغطة، خاصة من قبل الكونفدرالية العامة للفلاحين الجزائريين. وفي 19 أكتوبر 1924 تم اعداد صيغة جديدة ومعقدة لطالبي الهجرة إلى فرنسا، ويصبح كل مهاجر إلى فرنسا ملزم

بتقديم شهادة تعاقد للعمل مصادق عليها من قبل وزارة العمل، شهادة طبية صادرة عن الأطباء المعنيين خصيصا لهذه المهمة من قبل الإدارة تشهد بأن المترشح المعني للهجرة صالح حسديا للعمل في فرنسا و غير مصاب بالسل أ وأمراض أخرى معدي، هوية شخصية مع صورة صادرة عن رئيس البلدية أو ادارة الدائرة حيث يسكن الأهلي المعني تتضمن اللقب والاسم والعمر والمهنة. فبسبب هذه الإجراءات التي تهدف إلى الحد أو التقليل من هجرة اليد العاملة الجزائرية إلى فرنسا إضافة إلى المعاملة البيروقراطية التي يتعرض لها الأهالي الجزائريين في وطنهم الأمر الذي دفع العديد من المهاجرين إلى تزوير عقود العمل مقابل الابتعاد عن الاستغلال البشع الذي يتعرض إليه الجزائري في الجزائر التي تعيش أبشع احتلال.

رغم هذه القرارات التي سعت إلى منع هجرة العمال الجزائريين إلى الميتروبول فإن حركة الهجرة استمرت ولو بوتيرة مختلفة عما كان عليه الحال قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، التردد الذي عرفته حركية العمال المهاجرين إلى فرنسا، وفي هذه الوضع تم منع الهجرة إلى فرنسا ما عدا الدفعات المنظمة من العمال، وفي 29 نوفمبر 1939 صدر مرسوم قانون حيث تم استدعاء الجزائريين كيد عاملة أجنبية وقد وصلت الدفعات الأولى في 01 مارس 1940، تتكون هذه الدفعات من 300 عامل وهي مراقبة ومنظمة من طرف السلطات العسكرية والمدنية.

يجب تسجيل ملاحظة كون أن غالبية المهاجرين الذين قاموا بدور وطني خلال الحركة الوطنية عمالا عاديين ليست لهم مؤهلات فنية يعملون في مصانع الغاز وورشات الفحم ومصالح التنظيف للبلديات كما يمكن إن نسجل إن هذه الهجرة كانت تقتصر على الرجال فقط دون النساء. إذ يقدر عدد المهاجرات الجزائريات إلى فرنسا1930 بنحو 20امراة فقط هاجرن مع أزواجهن والى غاية1939 لم يتجاوز عددهن 40 امرأة ولم تكن هجرتهن للعمل بل لمرافقة أزواجهن. ولعل رغبة استقرار المهاجرين بفرنسا هي التي دفعتهم إلى التزوج بالفرنسيات. إضافة إلى بروز لنخبة وطنية ساهمت في الدفاع عن حقوق الجزائريين بداية بالأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر فمن خلال هذا الموضوع سأتتبع تطور الفكر النضالي للعمال في الجزائر، بداية بنضالهم ضمن النقابة المركزية الفرنسية.

اهتمت مجموعات عديدة بعمال المستعمرات المهاجرين في فرنسا وهي جمعيات كانت في الغالب مؤقتة لكنها ترجمت اهتمام ورجال ومنظمات اليسار في الاتصال بالمستعمرين وفهم وضعيتهم على غرار اللجنة الدولية من اجل تحرير الاهالي والمنظمة العالمية للكفاح من اجل الشعوب المضطهدة.

تجلت مساهمة المهاجرين الجزائريين في النضال الوطني ظاهر للعيان فهم من أسسوا أول نواة للوطنية الجزائرية في فرنسا تحت اسم نجم شمال إفريقيا خدمة المصالح العمال المغاربيين في فرنسا، فأردنا من خلال هذا التساؤل توضيح الجانب الهام الذي لعبه العمال الجزائريين بعد الحرب العالمية الأولى في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، انتشار أفكار الثورة البلشفية و الحرب العالمية الأولى والثانية، من خلال مشاركة الجزائريين في هذه الأحداث الدولية سواء كجنود أو عمال، إلى احتكاكهم عن قرب بجميع جنسيات العالم في الميتروبول فكانت فرصة ومناسبة هامة لأخذ مبادئ النضال العمالي.